فتح مكة ودوره في نشر الإسلام في الجزيرة العربية في العصر النبوي
في الفترة من (8-11هـ/629-632م)

محمد قايد حسن الوجيه[1]

الملخّص

تتلخص مشكلة البحث في محاولة معرفة دور فتح مكة سنة 8هـ/629م، في انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في العصر النبوي، يهدف البحث إلى دراسة طرق النبي صلى الله عليه وسلم في إرساء مبدأ العدل والمساواة والتعايش السلمي في الجزيرة العربية، اعتمد البحث على المنهج التاريخي الاستقرائي، وكذلك المنهج التاريخي الوصفي، تضمن البحث: ثلاثة محاور: الأول: مفهوم الإيجابية، والتعايش السلمي في الإسلام، الثاني: تعدد الانتماء في مكة والجزيرة العربية قبل الفتح، الثالث: نشر الإسلام والتعايش السلمي في مكة والجزيرة العربية بعد الفتح، تتلخص أهم النتائج في الاتي: شَكَّلَتْ قريش مع اليهود والأعراب قبل الفتح خطراً عظيماً على المسلمين، زال الحاجز المانع لبقية قبائل العرب للدخول في الإسلام باستسلام قريش وإسلامها بعد فتح مكة سنة 8هـ/629م ، ليسود التعايش السلمي في الجزيرة العربية كلها من خلال تأصيل فكر الانتماء للأمة المسلمة، ومنع الولاء لغير المسلمين، والذي تجسد في السلوك العملي للنبي صلى الله عليه وسلم حتى وفاته سنة11هـ/632م.

الكلمات المفتاحية: فتح مكة-انتشار الإسلام-الجزيرة العربية-العصر النبوي.

[1] أستاذ مشارك، قسم التاريخ، جامعة بيشة، جامعة صنعاء. mghassan@ub.edu.sa

The Conquest of Makkah and Its role in Spreading Islam in the Arabian Peninsula during the Prophetic Era from 8 AH to 11 AH/ 629-632AD

Dr. Mohammad Qaed Hassan Alwajeeh[2]

Abstract

The research attempts to find out the role of Makkah conquest in 8 H./ 629 G. in spreading Islam in the Arabian peninsula in the prophetic era. It aims at investigating the methods of the Prophet (pbuh) in establishing the principles of justice, equality and peaceful coexistence in the Arabian Peninsula. The research has used the historical inductive approach as well as the historical descriptive approach. This research has been divided into three parts: (1) concept of positivity and peaceful coexistence in Islam; (2) diversity of affiliations in Makkah and the Arabian Peninsula before the conquest, (3) the spread of Islam and the peaceful coexistence in Makkah and the Arabian Peninsula after the conquest. The significant results of this research are summed up as follows:

Before the conquest of Makkah, Quraysh, the Jews and the Bedouin Arabs cause a great danger to Muslims. After conquering Makkah in 8 H. / 629 G., Quraysh surrendered and embraced Islam which eliminated the barriers and smoothened the way for the Arab tribes to embrace Islam. This led to peaceful coexistence all over the Arabian Peninsula through the foundation of the sense of belonging to the Muslim nation, and preventing loyalty to non-Muslims, as exemplified in the conduct of the prophet (pbuh) until his death in 11 H. / 631 G.

Key words:

Conquest of Mecca – Spread of Islam- the Arabian Peninsula, Prophetic Era

.

Associate Professor, History Department, University of Bisha, Sana'a University. [2]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تناول العديد من الباحثين موضوع فتح مكة كما وردتْ في كتب السير والمغازي (غزوة فتح مكة) من الناحية التاريخية، أو من الناحية الدعوية، أو الناحية العسكرية، لكنهم لم يتطرقوا لدور فتح مكة في نشر الإسلام وإرساء روح التسامح ونشر التعايش السلمي في الجزيرة العربية في العصر النبوي، وإن ذُكر ذلك فإجمالاً ضمن الحديث عن غزوة فتح مكة، حاول البحث إظهار دور فتح مكة سنة 8 هـ/629م في نشر الإسلام وتعزيز التعايش السلمي لدى سكان مكة بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام، من خلال معرفة حياة أهل الجزيرة العربية قبل الفتح سواءً بتنوع الإنتماء، وانتشار الطبقية وتعدد الأديان، وحب السيطرة والظلم، ولم يلبثْ أن تحول الحال بعد الفتح أولاً في مكة: بإرساء العدل والمساواة ونشر للطمأنينة والأمان، وروح التسامح والعفو العام، وحفظ الحقوق والقضاء على رواسب الشرك وعادات الجاهلية، وثانياً في الجزيرة العربية: بإرساء مفهوم الأمة وفكر الانتماء للدولة الإسلامية، ومفهوم الولاء والبراء وتحريم موالاة الكافرين، ومفهوم التسامح الديني ودوره بالتعايش السلمي، ومفهوم الدفاع المشترك ودوره في الولاء السياسي للدولة الإسلامية، والذي استمر غرسه حتى انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى سنة 11هـ/632م، وهو ما ساعد على القضاء على الردة في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق بتعاون وتكاتف من ثبت على إسلامه ضد من ارتدّ.

مشكلة البحث :

يحاول البحث الاجابة على السؤال التالي :

ما دور فتح مكة سنة 8 هجرية في انتشار الإسلام في الجزيرة العربية؟

ومن هذا السؤال تتفرع أسئلة فرعية:

-كيف عالج صلى الله عليه وسلم مشكلات تعدد الانتماء[3] في مكة بعد الفتح؟

-كيف عالج صلى الله عليه وسلم مفهوم الإيجابية والتعايش السلمي[4]، والعدل والمساواة في مكة خاصة والجزيرة العربية عامة.

---

[3] انظر: السيد، رضوان: **مفهوم الجماعات في الإسلام**، ص13.

[4] انظر: عبد الحميد، محسن: **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**، ص61-64.

- **أهداف البحث:**

يحاول البحث الاحاطة بالنقاط التالية:

- معرفة مصطلح الإيجابية والتعايش السلمي وأهميتهما في الإسلام .
- رصد معالجات النبي ﷺ لمشكلات تعدد الانتماء في الجزيرة العربية قبل فتح مكة.
- دراسة طرق إرساء النبي ﷺ لمبادئ العدل والمساواة والتعايش السلمي في مكة والجزيرة العربية بعد الفتح.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في محاولة إبراز دور فتح مكة في نشر الإسلام في الجزيرة العربية في العصر النبوي من خلال معالجات النبي صلى الله عليه وسلم لمشكلات تعدد الانتماء، وإرساء مفهوم الإيجابية والتعايش السلمي، وإرساء العدل والمساواة في الجزيرة العربية.

منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج التاريخي الاستقرائي من خلال تتبع واستقراء المادة العلمية للبحث وجمعها ثم دراستها تاريخياً وتحليلها وفق معطيات البحث ومباحثه، وكذلك المنهج التاريخي الوصفي .

الدراسات السابقة :

- بحث: الأبعاد الاستراتيجية لفتح مكة (8هـ)، لغسان عبد القادر حميد[5]، رَكَّزَ على الأبعاد الاستراتجية لغزوة فتح مكة مثل الكتمان والسرية، ودخول مكة دون قتال، والحرب النفسية ضد قريش، وفرض منع التجوال وغيره.

- بحث: الفن الحربي الإسلامي في فتح مكة، لمحمد جمال الدين محفوظ[6]، عَرَضَ لغزوة فتح مكة والأحداث السابقة لها، والدروس المستفادة منها، مع عرض لبعض الجوانب العسكرية مثل غزوة خيبر والقضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية، وتحرك المسلمين عسكرياً لفتح مكة وترتيبات ذلك.

- بحث: وقفات مع فتح مكة من خلال السيرة النبوية، لمبارك إبراهيم التجاني، عَرَضَ لأحداث فتح مكة مع أخذ الدروس والعبر منها .

---

[5] حميد، غسان عبد القادر: **الأبعاد الاستراتيجية لفتح مكة (8هـ)**، (مجلة كلية المأمون الجامعة، ع18، 2011، صفحات (27-41).

[6] محفوظ، جمال الدين، محمد: **الفن الحربي الإسلامي في فتح مكة**، (مجلة دارة الملك عبد العزيز، مج8، ع3، يناير 1983م، صفحات (21-37).

-بحث: يوم الفتح المبين: فتح مكة، لعبد القادر التحافي[7]، عَرَضَ لصلح الحديبية ونقض قريش له، وتَوَجُّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة مع العرض لاستعداداته لذلك .

-رسالة: فتح مكة دراسة دعوية، لهند الطيب[8]، رَكَّزَتْ الرسالة على غزوة فتح مكة والدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة والدعاة، والمدعوين، ووسائل وأساليب الدعوة.

تعرض الدراسات السابقة لغزوة فتح مكة وفق ما أوردته كتب السير والمغازي، لكنها لم تورد دور فتح مكة في إرساء روح التسامح ونشر التعايش السلمي، وإقرار مبادئ العدل ورفع الظلم في الجزيرة العربية في العصر النبوي، وإن ذُكر ذلك فإجمالاً ضمن الحديث عن غزوة فتح مكة، وهو ما تميز به هذا البحث بإبراز دور فتح مكة سنة 8 هجرية في نشر الإسلام في مكة بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام، عبر إرساء العدل والمساواة ونشر للطمأنينة والأمان، وروح التسامح والعفو العام، وحفظ الحقوق، والقضاء على رواسب الشرك وعادات الجاهلية، وغرس مفهوم الأمة وفكر الانتماء للدولة الإسلامية، وتجريم موالاة الكافرين، ومفهوم التسامح الديني وعلاقته بالتعايش السلمي، ومفهوم الدفاع المشترك ودوره في الولاء السياسي للدولة الإسلامية.

المحور الأول: مفهوم الإيجابية والتعايش السلمي في الإسلام:

-مفهوم الايجابية في الإسلام:

الايجابية هي المصدر لوجبَ، والإيجاب الإثبات لأي شيء كان [9]، وضدها السلبية [10]، واصطلاحاً: تقديم الحلول لكل ما يواجه المسلم من مشكلات [11]، أو هي تحريك القوى الخيرة الموجودة داخل الإنسان سواءً الجسدية أو العقلية أو الروحية[12] .

إن الإنسان الإيجابي الذي يربط وجوده بمجتمعه، ولا تعزله عنه أنانية أو ذاتية خاصة [13]، تجده لبنة صالحة في مجتمعه، محباً لوطنه، وذلك موافقاً لما دعا إليه الإسلام بتعاليمه الإيجابية الحاثة على العطاء والانتاج

---

[7] التحافي، عبد القادر: **يوم الفتح المبين: فتح مكة،** (مجلة المورد، مج27، ع1، 1990م، صفحات (4-21).

[8] الطيب، هند بنت مصطفى: **فتح مكة دراسة دعوية**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، 1999م.

[9] أبو حبيب، سعدي: **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، ص372.

[10] الجيلاني وآخرون، ابن الحاج يحي: **القاموس الجديد الألفبائي**، ص113.

[11] المليجي، يعقوب: **المدخل للثقافة الإسلامية**، ص56.

[12] كامل، مصطفى: **هذا هو منهج الإسلام في التربية**، ص8.

[13] طعيمة، صابر عبد الرحمن: **الإسلام وعالمنا المعاصر، دراسة في الدعوة والدعاة**، ص73.

والجد ومساعدة الآخرين، والصفح والتسامح والتفائل، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة:105]، وفي السنة المطهرة جاء عن ابن عمر رضي الله

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة« [14]، بل حرص الإسلام على تنمية شخصية المسلم التي تميزه عن غيره، فلا ينقاد للآخرين في كل مواقفهم ولو كانت سلبية حتى لا يصبح أمعة، ففي الحديث: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا». [15]

-التعايش السلمي في الإسلام:

سُئِل النبي ﷺ : أَمِن العصبية أن يحب الرجل قومه، فقال: «لا وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ «[16]، فالتعايش السلمي يدعو إلى الخير للآخرين ومساندتهم ومعاونتهم في الحق شريطة عدم معاونتهم في الظلم، وقد قال ﷺ» :مثل الذي يُعين قومه على الظلم كمثل البعير المتردي في الركى، فهو ينزع بذنبه«[17]، فشبهه ببعير وقف في الهاوية من الأرض يحاول أن ينزع بذنبه يريد رفع رأسه، فلا هو حمل نفسه، ولا نقل الحمل الذي عليه، كذلك من يعين قومه في ظلمهم لا يخلصهم من بئر الهلاك الذي وقعوا فيه[18]، وفي ذلك مثل بليغ لمن يتظاهرون بحب التعايش السلمي وهم يتآمرون على قومهم في نفس الوقت، ويسلمون زمامهم لأعدائهم بدافع من التعصب وضعف الإيمان.

لا يوجد أي تعارض بين الإسلام وحب الحياة الهادئة المستقرة المليئة بالحب والتعاون والتعايش السلمي مع الآخرين، فحب الوطن من الإيمان، والدفاع عن الوطن من الإيمان، ومن مات دون أرضه فهو شهيد، وعلى ضوء ذلك قامت تعاليم الإسلام التي لم تقم حضارته وفق اللاهوتية النصرانية أو الآلهة

---

14 البخاري: **صحيح البخاري**،كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ص46، رقم (2442).

15 الترمذي: **الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو**، حديث رقم (2007)، جـ3، ص538.

16 ابن أبي شيبة: **مصنف ابن أبي شيبة**، كتاب الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها، حديث رقم (38529)، جـ21، ص151، رابط الحديث: (تاريخ الدخول: 2020/2/7 الموافق 1441/6/13هـ). mghassan@ub.edu.sa

17 ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم (4378)، جـ2، ص987، إسناده صحيح، وأخرجه **ابن حبان في الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، جـ13، ص271.

18 القارئ، على سلطان:**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، جـ9، ص128.

اليونانية، بل كانت حركة إنسانية تهتدي بتوجيهات الخالق عز وجل[19]، وهذه الحركة الانسانية تعتمد على إقرار الحرية لبني الإنسان حتى في اختيار العقيدة، فلا إكراه في الدين، وبدونها تمحو شخصية الإنسان وآدميته، التي يصيبها العطل والسلبية تجاه الحياة[20]، ومن ثم تجاه الوطن.

ساوى الإسلام بين البشر في القضية الإنسانية، فجعلهم متساوون في طبيعتهم البشرية، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى[21]، فلا فضل لسلالة أو نسب أو عرق إلا بالتقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:13] ، وكل نص قرآني ابتدأ النداء فيه بـ يا أيها الناس يكون الخطاب فيه للناس جميعاً، غير مختص بطائفة دون أخرى، لأن العنوان فيه للإنسانية كلها[22].

وهو ما سار عليه صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، فقد حرص ألا يراق دم، ولا يؤخذ بالثارات القديمة قبل الفتح، بل عرض الإسلام دون وسائط أمام الجميع مقروناً بالعفو والتسامح، "إذهبوا فأنتم الطلقاء"[23]، ليجسد التعايش والإيجابية بكل صورهما، مع مراعاة الحقوق والتفاضل في الدين على أساس التقوى والعمل الصالح.

المحور الثاني: تعدد الانتماء في مكة والجزيرة العربية قبل الفتح :

- تعدد الانتماء في مكة قبل الفتح :

بعد قيام دولة الإسلام في المدينة تَكَوَّن نموذج مختلف عما كان سائداً من قبل في الجزيرة العربية، وخاصة في مبدأ المساواة والتعايش مع الآخر، فمثلتْ المدينة المنورة النموذج الأفضل في الممارسة السياسية في الجزيرة العربية بإطلاق حتى اعتبر البعض هذه الفترة النبوية: "دولة الإسلام بحق دون سواها لأن الوازع الديني كان الأساس والدافع لتطبيق شرائع الإسلام وتحقيق مقاصدها وغاياتها"[24]، حيث جسدتْ تحقيق

---

19 عبد الحميد، محسن: **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**، ص61-64.

20 المصدر نفسه، ص67-68.

21 في خطبة الوداع قال ﷺ : «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وأدم من تراب، وليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت...« ورد في: الألباني، محمد ناصر الدين:**السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ص٢٧٠٠، وقال عنه إسناده صحيح، كما ورد عند ابن حنبل، أحمد بن محمد: **مسند أحمد**، حديث رقم (23972)،ج10، ص5586.

22 انظر: أبو زهرة، محمد: **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، ص48.

23 البيهقي، أحمد بن الحسين: **شعب الإيمان**، حديث رقم (٥١٣٧).

24 ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**، ص211.

الهدف الأول من الوجود الإنساني على الأرض والدافع للاستخلاف، وهو عمارة الأرض وفق تكليف الله الذي عُدّ تشريعاً للإنسانية جمعاء دون تفرقة في النوع والعرق[25]، وهو ما لم يعد متحققاً عند المسلمين بعد ذلك باستثناء عهد الراشدين،وقد استغل بعض المستشرقين هذا الأمر، فحاولوا الافتراء على الإسلام ونشر العديد من الشبهات والتهم التي هو منها براء، ومنها الجمود والاستبداد السياسي بين كل فترة وأخرى[26]، مرتكزين على الموروث الغربي في عملية المقارنة، ما جعلهم بعيدين تماماً عن الحقيقة التاريخية [27].

على أن مفهوم الدولة لم يظهر قبل الإسلام في الجزيرة العربية، لأن معظم الدراسات التاريخية تتفق على أن كل التجمعات العربية في الجزيرة العربية لم تكن كيانات سياسية بالمعنى المعروف، بل تجمعات قبلية ترتبط بالمكان أكثر من أي شيء آخر، وإن غلبت قبيلة على أخرى[28]، فالنظام القبلي بشكل عام وما فيه من أعراف وتقاليد لم يكن يحمل الطابع السياسي أو صفة الدولة، لأن النظام الاجتماعي للقبيلة لم يكن يسمح بذلك، وهو الأمر الذي ينطبق على مكة، فعلى الرغم من سيادتها وزعامتها على القبائل العربية حتى أُطلق عليها سيدة قبائل العرب، فقد ظلت وفق التعبير القرآني "أم القرى" ولم يطلق عليها مصطلح مدينة[29].

بذلك لم تستطع روابط المكان والدم والعصبية والمصلحة الاقتصادية إيجاد حل للتعايش السلمي وإنهاء الظلم والطبقية، لأنها في نهاية المطاف لا تستقر على حال[30]، ومن ثم كان من الضروري إشباع الحاجة الماسة لوجود شيء أعلى وأسمى يتساوى فيه الجميع دون فوارق، ألا وهو العدل، ولم ولن يتم ذلك إلا بوجود الرابط الديني، الذي وَحَّدَ، بين القوي والضعيف، والسيد والمسود، وكان أقوى من كل روابط اللغة والجغرافيا والاقتصاد[31]، وهو ما سيتم على يد سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

- **تعدد الانتماء الديني والطبقي والقبلي في الجزيرة العربية قبل الفتح:**

تعددتْ القوى في الجزيرة العربية قبل فتح مكة سنة 8هـ/629م، فقد كانتْ أول هذه القوى قريش العدو الأكبر لدولة الإسلام في المدينة، والتي قد خارتْ قواها بعد معركة الأحزاب سنة 5هـ/626م،

---

25 أبو زهرة، **محمد: تنظيم الإسلام للمجتمع**، ص26-27.

26 جوارفسكي، اليكس: **الإسلام والمسيحية**،ص22-23. Elie Salem, **The Elizabethan Image of Islam**, No. 22. 1963.

27 ربيع، حامد: **سلوك المالك في تدبير الممالك**، ص144.

28 السيد: **مفهوم الجماعات في الإسلام**، ص28.

29 بلقزيز، عبد الله: **تكوين المجال السياسي الإسلامي، النبوة والسياسة**، ص139.

30 جان وليم، لايبار: **السلطة السياسية**، ص48.

31 السيد: **مفهوم الجماعات في الإسلام**، ص13.

فبدأتْ البحث عن حلول لاستمرار تجارتها التي تشكل عمود حياتها، خاصةً بعد أن فقدتْ الكثير من القبائل المتحالفة معها، فقد قام **صلى الله عليه وسلم** خلال العام السادس الهجري بعدة غزوات[32]، وأرسل أربعة عشر سرية[33] استطاع خلالها إنهاك قوى قريش بإحكام الحصار عليها، وتقليم أظافرها من خلال اقتطاع كل ما يمدها بالقوة من حلفائها[34].

شكل اليهود ثاني القوى المعادية لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ودولته، وهم على قسمين: داخل المدينة وخارجها، وقد استطاع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تقليم أظافرهم ابتداءً ببني قينقاع[35] وبنو النضير[36]، وبنو قريظة[37]، نتيجة لما قاموا به من خيانة للعهد ونقض للاتفاق، وبعد صلح الحديبية سنة 6هـ/627م استكمل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** القضاء على خطر يهود خيبر[38] بقلاعها الست، ومن تحالف معها من القوى اليهودية الصغيرة، ليصبح اليهود بعدها مواطنين وليسوا كتلاً سياسية أو عسكرية يمارسون حقوقهم في إطار الدولة الإسلامية لا يمسهم أحد بسوء، وعاد بعضهم إلى المدينة ليستقر فيها كأفراد ضمن الدولة الإسلامية[39]، فتحقق العدل وساد التعايش السلمي في المدينة المنورة.

كما شكل الأعراب ثالث القوى المعادية لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ودولته، وقد كانوا متناثرين حول المدينة أو بعيدين عنها[40]،وقد استطاع **صلى الله عليه وسلم** خلال العامين السابع والثامن الهجريين تأديبهم من خلال إرسال العديد من السرايا التي أثبتْ لهم قوة المسلمين وصلابتهم[41].

ولعل أبرز هذه القوى المعادية للرسول **صلى الله عليه وسلم** ودولته قبائل ثقيف وهوازن، فقد كانتا الحليف الأكبر لقريش، ومع أن القضاء عليهما لن يتم إلا بعد القضاء على قريش، فقد فكر رسول الله

---

32 هذه الغزوات حسب تسلسلها الزمني في العام السادس للهجرة: غزوة بني المصطلق، غزوة بني لحيان، غزوة ذي قرد، صلح الحديبية. انظر: رزق الله، مهدي: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية**، ص431، 468، 497، 481.

33 للمزيد عن هذه السرايا انظر: (ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج2، ص131-158).

34 الشجاع، عبد الرحمن: **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، ص139.

35 **انظر: الثعالبي، عبد العزيز: الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم**، ص223.

36 انظر: الغزالي، محمد: **فقه السيرة**، ص214.

37 انظر: شقرة، محمد إبراهيم: **السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة**، ص400.

38 انظر: ابن اسحاق، محمد المدني، **السيرة النبوية لابن اسحاق**، ص470.

39 الشجاع: **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، ص181-182.

40 مثل قضاعة، وجهينة، وفدك، ووادي القرى. انظر: مهدي رزق الله: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**،ص527-530.

41 الشجاع: **المصدر نفسه**، ص183.

صلى الله عليه وسلم بإشعارهما بقوة المسلمين حتى لا يفكرا بمد يد العون لقريش، ففاجئهما بسريَّةٍ عمر بن الخطاب ﷺ شعبان سنة 7 هـ/628م والتي وصلتْ إلى تُرَبَة[42] جنوب الطائف، فأجفلت ثقيف من امتداد نفوذ الدولة الإسلامية إلى هذه المناطق[43].

أما بقية القبائل الأخرى في الجزيرة العربية فقد تعامل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مع كل منها بما يناسبها، فقبائل جنوب الجزيرة العربية وصلتهم أنباء دولة الإسلام فأسلمتْ الإدارة الفارسية (الأبناء)[44] في صنعاء[45]، وأعلنوا ولائهم للإسلام، ليحقق رسول الله **صلى الله عليه وسلم** نصراً في قلب اليمن من ناحية، ونصراً على فارس من ناحية أخرى[46]، وليكون ذلك رسالة قوية إلى بقية القبائل اليمنية بأن لا مناص أمامها إلا الإسلام من ناحية ثالثة، وإن كانت ستتريثْ حتى فتح مكة، كما أرسل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** رسائل لزعماء قبائل نجران[47] وغيرها من القوى القبلية يدعوهم للإسلام، ومع أنهم لم يستجيبوا في هذه المرحلة، فلم يجدوا مفراً من التسليم بعد ذلك[48]، الأمر الذي مهّد لنشر العدل والمساواة وتحقيق التعايش السلمي والأمان بين الجميع.

- **أساس العدل والسلم في العهد النبوي قبل الفتح :**

مثلتْ رسالة النبي **صلى الله عليه وسلم** الضامن الوحيد لقيام العدل والمساواة بين الجميع وفق شرع الله، وقد أثبت ذلك أن رابط الدين الحق أقوى من أي روابط أخرى لتحقيق ما سبق، وهو ما قام به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** طوال الفترة المكية من جعل رابطة الدين الأساس لكل من تبعه، فأصبح

---

42 تقع محافظة تربة بالجنوب الشرقي من منطقة مكة المكرمة، ويحدها من الجنوب منطقة الباحة ومن الشرق محافظتي رنية والخرمة، في حين يحدها من الشمال محافظة المويه، ومن الغرب محافظتي الطائف وميسان. للمزيد انظر موقع إمارة منطقة مكة المكرمة رابط: https://www.makkah.gov.sa/page/turba تاريخ الدخول 2020/2/7م الموافق 1441/6/13هـ.

43 الشجاع: **المصدر نفسه**، ص184.

44 هم قوم من أبناء فارس دخلوا إلى اليمن مع سيف بن ذي يزن، وأُطلق عليهم هذا الاسم فيما بعد لأنهم استقروا في اليمن وتزوجوا يمنيات ورزقوا منهن بأولاد، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء. انظر: (الشجاع، عبد الرحمن: **تاريخ صدر الإسلام**، ص24).

45 مدينة صنعاء المشهورة في اليمن، وكانت تسمى قديماً أزال نسبة لأزال بن يقطن. انظر: (ابن الفقيه، أحمد بن اسحق الهمداني: **كتاب البلدان**، ص91)

46 الشجاع: **المصدر نفسه**، ص185.

47 نجران: نَجْرَان: بفتح النون وإسكان الجيم، وهي بلدة معروفة كانت منزلاً للأنصار، وهي بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة. (ابن حزام، أبا زكريا شرف:**تهذيب الأسماء**، جـ3،ص350)، ونَجْرَان:بلدة وواحة ومنطقة جنوب عسير انظر:
Tht New Encuclopaedia Britannica, 1768,Volum 8, P. 489.

48 الشجاع: **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، ص185.

الولاء لله وحده دون سواه، حيث تعددتْ الولاءات لدى قريش والقبائل العربية الأخرى، وبالتالي لم تعد مؤهلة لقيادة العرب، أو قيادة أتباعها، لممارستها للظلم وبُعْدَها عن العدل، بينما مارس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** العدل والمساواة واقعاً ملموساً بين الناس، فكان أتباعه رغم ضعفهم وقلتهم في مكة أمة متميزة بذاتها[49]، فلم يرجع أحد منهم عن دينه، أو يستسلم لقريش وجبروتها وبطشها.

لعل ما وقع في مكة في العهد القرشي من ظلم وطبقية وبعد عن الله وصفات جاهلية أدتْ لاستبعاد قريش من السيادة الدينية والسياسية للعرب كافة، وأدى ذلك لظهور من يحل محلها ليعيد العدل والمساواة بين الجميع طبقاً لقوانين الله العادلة في الأرض، وقد تجسدتْ هذه القوة الجديدة في رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه، فشكلوا وحدة متماسكة تتصف بالأخلاق والصفات الحسنة، مقتبسة من صفات معلم البشرية محمد **صلى الله عليه وسلم** ، وهو ما ظهر جلياً في بيعة العقبة الأولى والثانية من مبايعة على أساس الدين والأخلاق والقيم[50]،بعيداً عن الهيمنة والثأر والسيطرة التي كانت سائدة في الأعراف القبلية قبل الإسلام[51]، وبإمعان النظر في بنود بيعة العقبة الثانية يتبين أن مؤشرات إقامة العدل والمساواة بادية فيها، ولم يبق إلا المكان (الوطن)، الذي سيهيئ لقيام الدولة الإسلامية في المدينة والتي ستُطَبَّقْ الجوانب التشريعية فيها، فقد تغير الخطاب القرآني في العهد المدني عنه في العهد المكي، فبينما كان الخطاب المكي يهتم بالألوهية والتوحيد، جاء الخطاب المدني مهتماً بالجوانب التشريعية التي طبقتْ على الأرض[52].

بهجرة النبي **صلى الله عليه وسلم** من مكة إلى المدينة أعلن قيام دولة الإسلام لتكون النواة التي جمعتْ تحت ظلالها راية العدل والمساواة، التي جعلتْ من الدين أساس عمودها، مع احترام قاعدة لا إكراه في الدين، وطبقتْ العدالة على جميع الأديان والأجناس، لتنطلقْ بعد ذلك من الجزيرة العربية إلى العالم أجمع[53].

---

49 التيجاني، عبد القادر حامد: **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، ص108.

50 انظر: ابن حجر، الحافظ أحمد: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، جـ15، ص75، ابن سعد، أبو عبد الله محمد: **الطبقات الكبرى**، جـ1، ص222.

51 إبراهيم، أيمن: **الإسلام والسلطان والملك**، ص46-47.

52 التيجاني: **المصدر نفسه**، ص20.

53 بلقزيز: **تكوين المجال السياسي الإسلامي**، ص200.

تنوع العداء للنبي **صلى الله عليه وسلم** في العهد المكي باعتباره رأس الدعوة حتى وصل الأمر إلى التخطيط لقتله في اجتماع سادات قريش بدار الندوة[54]، ولكن الله نجاه ليخرج بعدها مهاجراً إلى المدينة[55].

أقام الرسول **صلى الله عليه وسلم** دولته في المدينة، واستطاع هزيمة أعدائه المتعددين سواءً مشركي مكة أو يهود المدينة أو المنافقين أو الأعراب، ورغم تنوع ولاءات هذه القوى إلا أنها اجتمعتْ على حرب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ودينه، فكان للقبائل المناوئة للدعوة خارج المدينة عيون داخلها تخبرهم إذا ما تحركتْ جيوش المسلمين نحوهم، فيفرون قبل وصولها[56]، ومع ذلك فقد انتصر الرسول **صلى الله عليه وسلم** على المشركين في بدر[57] وحمراء الأسد[58] والخندق[59]، التي بعدها انتهى خطر قريش على دولة الإسلام، حتى قال **صلى الله عليه وسلم"** الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم"[60]، ليتمكن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بعد ذلك من تأديب اليهود في المدينة المخالفين للعهد والوعد، والناقضين للمواثيق والاتفاقات، فانتصر على يهود بني قينقاع[61] وبني النظير[62] وبني قريظة[63] وخيبر[64] ولكل جماعة من هذه الجماعات اليهودية قصة من المكر ونقض العهد ومحاولة زرع الفتنة في المدينة[65] .

برغم ما لاقاه المسلمون من الأعراب من دسائس استشهد على إثرها عدداً كبيراً من الصحابة، إلا أن هذه الفئة لم تشكل خطراً كبيراً على الدولة الإسلامية في المدينة، لأنها لم تكن تمتلك الجرأة للمواجهة،

---

54 ابن هشام، عبد الملك جمال الدين: **السيرة النبوية لابن هشام**، جـ2، ص94-95.

55 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ2، ص102.

56 السويكت، سليمان عبد الله: **العيون والجاسوسية في عصر النبوة**، صفحات(170-223)، ص205.

57 انظر: البلاذري، أحمد بن يحي: **الأنساب**، جـ1، ص291.

58 انظر: البلادي، عاتق بن غيث: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، جـ10، ص164.

59 انظر: ابن حبان، محمد التميمي: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، ص254-255.

60 البخاري، محمد إسماعيل: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث رقم (4110)، جـ5، ص110.

61 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ2، ص426، ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، جـ2، ص29.

62 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ3، ص191، ابن سعد: **المصدر نفسه**، جـ2، ص31.

63 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ3، ص252.

64 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ3، ص378.

65 انظر: الشجاع: **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، ص149-153.

فعندما أَخرج النبي **صلى الله عليه وسلم** السرايا والغزوات لقبائل نجد[66] البدوية، كانت تتخفى في التلال والجبال، وتفرّ من المواجهة، وإن كان **صلى الله عليه وسلم** قد أدبها وقلم أظافرها[67].

أما المنافقين فكانوا يُصَلُّون مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ويشهدون مجالسه ليطعنوا فيها لا لتزيل الخبث من قلوبهم[68] .

رغم ما سبق فقد ظلت القبائل العربية المتناثرة في الجزيرة العربية تنظر ما سيئول إليه الصراع بين مكة والمدينة، بين رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وقريش، فلم يدخل أغلبها في دين الله أفواجاً إلا بعد فتح مكة[69]، وزوال خطر قريش تماماً.

أُقيمتْ التحالفات بين كل القوى المعارضة للإسلام قبل فتح مكة وخاصة بين قريش والمنافقين واليهود من جهة، وبين المنافقين واليهود من جهة أخرى، وقد حاولت قريش تحريض منافقي المدينة ضد النبي **صلى الله عليه وسلم** بمراسلتها إياهم[70]، لكن دون فائدة، فتحولتْ مراسلاتها إلى يهود المدينة تحثهم على قتال المسلمين[71]، وخاصة يهود بني النضير، حيث التقتْ أهداف كل منهما في القضاء على المسلمين[72]، فكان ذلك مشجعاً لقريش في التأليب على المسلمين في غزوة الخندق، التي كانت أخر غزوة تشنها قريش على المسلمين.

مَثّلَ صلح الحديبية فتحاً عظيماً للمسلمين، فحصل بسببه خير جزيل[73]، حتى عدَّهُ البعض أعظم من فتح مكة[74]، فتمكن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من القضاء على أعداء الدولة الإسلامية في

---

66 نجد: نَجْد: كل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد... ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن، وبين النجدين وعُمَان برية واسعة. (الحموي،ياقوت: **معجم البلدان**، جـ5،ص262-265).

67 انظر: الشجاع، **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، ص155.

68 انظر: الشجاع: **المصدر نفسه**، ص172-173.

69 النووي، محي الدين يحي شرف: **المنهاج شرح صحيح مسلم**، جـ12، ص140، بتصرف.

70 أبي داود، سليمان الأزدي: **سنن أبي داود**، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في خبر بني النظير،(ح3004)، جـ3، ص156.

71 أبي داود، **المصدر نفسه**، جـ3، ص156.

72 رزق الله: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ص444.

73 ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير**، جـ7، ص310.

74 البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، جـ5، ص62.

الجبهة الشمالية المتمثلة في يهود خيبر الذين حرضوا قريشاً ضد المسلمين[75]، كما كان هذا الصلح سبباً في فتح مكة ومقدمة له [76].

قرّر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تأديب القبائل العربية النصرانية الموالية للروم لغدرها بسرية كعب بن عمير الغفاري[77]، ولمقتل الحارث بن عمير الأزدي مبعوث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى ملك بصرى على يد شرحبيل بن عمرو الغساني[78]، فشكل ذلك استهانة بالمسلمين، وكان المتعارف عليه أن لا يقتل الرسل[79].

خرج الجيش الإسلامي لغزوة مؤتة[80] واستطاع خالد ابن الوليد الإثخان في الروم وكسب الجولة، ونصر الحملة الصادقة لا ظفر الميدان، أو نصر الموقف الحاسم[81]، فكان لهذه المعركة أثره على نفوس القبائل العربية، التي كانت ترى في الروم عدداً لا يقهر، ويدينون لهم بالخضوع، فبدأتْ بالانضمام تحت لواء المسلمين بعد ذلك، وإن كان البعض منها لم يدن بعد، مثل: قضاعة التي تفرغ لها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، فوجه لها سرية ذات السلاسل[82]، فهربوا في البلاد وتفرقوا[83]، ومثل: جهينة[84]، وغطفان[85]، فأمن المسلمون ومن تحالف معهم ما حولهم من القبائل وتفرغوا لفتح مكة.

---

75 الحسيني، سلمى سليمان: **صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية**، بحث ماجستير مقدم للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة،1405هـ، ص95 بتصرف، وقد ترك رسول الله ﷺ يهود خيبر لزراعة أرضهم على نصف الثمر، واستمروا على ذلك حتى أجلاهم عمر بن الخطاب ﷺ لما كثر فسادهم وغدرهم. انظر: (البخاري: **المصدر نفسه**، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة (إذا شئت أخرجتك)، جـ3، ص177).

76 ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **زاد المعاد**، جـ3، ص309.

77 خليل، عماد الدين: **دراسة في السيرة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ط6، ص294.

78 الواقدي، أبو عبد الله محمد السهمي: **كتاب المغازي**، جـ2، ص755، ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، جـ2، ص128.

79 أبو زهرة، محمد: **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، جـ2، ص1139.

80 انظر: الندوي، أبو الحسن: **سيرة خاتم النبيين**، ص249-256)

81 عرجون، صادق إبراهيم: **خالد بن الوليد**، ص71.

82 انظر: حافظ، عبد السلام هاشم: **سيرة نبي الهدى والرحمة**، ص318-320.

83 ابن سيد الناس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، جـ2، ص204.

84 ابن سيد الناس: **المصدر نفسه**، جـ2، ص206.

85 ابن سيد الناس: **المصدر نفسه**، جـ2، ص209.

المحور الثالث: نشر الإسلام والتعايش السلمي في مكة والجزيرة العربية بعد الفتح :

أولاً: مكة :

- **تقوية الجبهة الإسلامية على حساب جبهة قريش قبل الفتح:**

خضعتْ قريش للصلح مع النبي **صلى الله عليه وسلم** لأول مرة مضطرةً لأن تجارتها تدهورتْ بعد إلغاء الإيلاف[86]، مع القبائل التي على الطرق التجارية، وفقدانها الأمن لتجارتها التي هي عماد حياتها، ما دفعها لعقد هدنة مع النبي **صلى الله عليه وسلم** طويلة الأجل تصل إلى عشر سنوات[87]، ومن شروطها إتاحة الباب على مصراعيه أمام القبائل العربية في الجزيرة العربية في الدخول في حلف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعقده أو حلف قريش وعقدها[88] .

دخلتْ قبيلة خزاعة في حلف النبي **صلى الله عليه وسلم** وعقده، ودخلتْ قبيلة بني بكر الكنانية في حلف قريش وعقدها، وكان بين القبيلتين عداوات وثارات من الجاهلية، فلما تم صلح الحديبية أمن كل فريق من الآخر، غير أن بني بكر أغاروا على خزاعة ليلاً في ماء لهم يقال له الوتير[89]، فأصابوا منهم رجالاً بمساندة قريش ومساعدتها لهم بالسلاح والرجال[90]، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم[91].

بعد أن تأكد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من نقض قريش للعهد، أرسل إليها رسولاً يخيرها بين ثلاث أمور[92]، فاختارتْ الحرب، وبذلك أصبح المسلمون في حِلٍ من عهدهم وصلحهم مع قريش، وفي نظرة تحليلية سريعة للموقف نجد الجبهة الداخلية الإسلامية أصبحتْ أكثر تماسكاً وقوة من جبهة قريش الداخلية، وذلك لتعزيز روح الانتماء لله ورسوله لمن أسلم، وللثقة بصدق رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالوعد والعهد لمن لم يسلم وكان محالفاً للمسلمين، مع استثناء من نقض العهد والميثاق مع رسول الله **صلى**

---

86 الإيلاف: مجموعة من العهود والمواثيق كتبها زعماء مكة قبل الإسلام لضمان الأمان لتجارتهم داخل الجزيرة العربية وخارجها. انظر: (سلامة، عواطف أديب: **قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني**، ص230-236).

87 انظر: العلي، إبراهيم: **صحيح السيرة**،.ص320-321.

88 **انظر: حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ص77.

89 الوتير: ماء لخزاعة يقع أسفل مكة، ويعرف اليوم بالوتائر. (شراب، محمد: **المعالم الأثرية في السنة النبوية**، ص297).

90 ابن سعد: **الطبقات الكبرى**،جـ2،ص134،الزرقاني، محمد عبد الباقي:**شرح المواهب اللدنية للقسطلاني**، جـ2، ص288.

91 ابن هشام، **السيرة النبوية**، جـ3، ص394، ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد: **كتاب المغازي لابن أبي شيبة**، ص320

92 خيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دفع دية قتلى خزاعة أو يعلنوا البراءة من حلف بكر، أو القتال، فاختاروا القتال ثم ندموا فأرسلوا أبو سفيان في آخر شهر شعبان لتجديد المعاهدة لكنه فشل في مهمته. (ابن سعد: **المصدر نفسه**، جـ2، ص134).

الله عليه وسلم والمسلمين مثل: يهود المدينة[93]، وقد تم القضاء عليهم أو تأديبهم، وزادتْ قوة المسلمين العسكرية بانضمام العديد من القبائل العربية المجاورة للمدينة لحلف الرسول **صلى الله عليه وسلم** ، الذي تمكن من إرسال العديد من السرايا في فترة الصلح[94]، وبذلك عمّ الأمان كل الأماكن التي تواجد فيها الإسلام في الجزيرة العربية قبل فتح مكة.

ومما زاد من تعزيز الجبهة المسلمة الولاء والبراء لله ولرسوله **صلى الله عليه وسلم** من المجتمع المسلم بكل فئاته بلا استثناء، وتجسّد ذلك عند وصول أبو سفيان للمدينة يريد تقديم الاعتذار وتمديد الصلح مع قريش، فهذه ابنته أم حبيبة زوج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تمنعه من الجلوس على فراش المصطفى **صلى الله عليه وسلم** قائلةً: "بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس"[95]، وهذا أبو بكر الصديق **صلى الله عليه وسلم** يرفض الشفاعة له عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، بل أن عمر بن الخطابﷺ رد على طلب أبي سفيان بقوله: "أنا أشفع لكم إلى رسول الله، فوالله لو لم أجد إلا الذر[96] لجاهدتكم به"[97]، ولما ذهب أبو سفيان إلى علي بن أبي طالبﷺ لم يختلف جوابه عمن سبقه[98].

في كل ما سبق صورة واضحة لمجتمع المدينة وما تميزوا به من روح المبادرة والتضحية وحبهم لرسول الله ﷺ وتنفيذ أوامره الذي قال لهم قبل وصول أبو سفيان: "كأنكم بأبي سفيان قد قدم ليزيد في العهد ويزيد في المدة"[99]، فسمعوا لرسولهم وأطاعوا، وكل ذلك يعزز روح الانتماء، وساعد على تحقيق النصر.

طلب رسول الله ﷺ من أصحابه الاستعداد والتجهيز[100]، وانضمتْ إليهم قبائل المسلمين خارج المدينة[101]، حتى وصل عدد المسلمين عشرة آلاف مقاتل، خرجوا في العاشر من رمضان سنة 8هـ/629م، ودخلوا مكة في التاسع عشر من نفس الشهر[102]، ورغم أن هذه الأعداد الكبيرة لم تشهد مثلها الجزيرة

---

93 مثل: يهود بني قينقاع وبني النظير وبني قريظة وخيبر.

94 مثل: سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم، سرية غالب بن عبد الله إلى فدك، سرية ذات أطلح إلى بني قضاعة، سرية ذات عرق إلى هوازن. انظر: (المباركفوري، صفي الدين: **الرحيق المختوم**، ص 354).

95 الواقدي: **كتاب المغازي**، جـ2، ص785.

96 الذر: النمل الصغير، (الصالحي، محمد يوسف: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، جـ5، ص278.

97 المباركفوري: **المصدر نفسه**، ص364

98 المباركفوري: **المصدر نفسه**، ص364.

99 الطحاوي، أحمد بن محمد: **شرح معاني الآثار**، حديث رقم (4336)، جـ3، ص325.

100 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص398.

101 هي: سليم ومزينة وبني غفار وأسلم وتميم وقيس. انظر: ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص400.

102 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص400.

العربية من قبل، فقد ظلتْ السرية والكتمان عن مكة سيدة الموقف التي أخذ بها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حتى عن أقرب الناس إليه صديقه الحميم أبو بكر الصديقﷺ ، وزوجته عائشة رضي الله عنها، التي ردتْ عندما سألها أبوها أين يريد رسول الله؟ بقولها: لا والله لا أدري[103]، كما بعث الرسول **صلى الله عليه وسلم** سَرِيَّة من ثمانية من الصحابة باتجاه معاكس لمكة، وصلوا حتى وادي ذي خشب[104]، حتى يظن الظان أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** متوجه إلى تلك الجهة، وبعد أن استكمل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الأسباب البشرية لجأ إلى ربه بالدعاء بقوله: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يروننا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة [105].»

-2تعزيز روح التسامح والعفو العام أثناء الفتح :

لما أكمل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كل الاستعدادات للتوجه إلى مكة آخذاً بالأسباب مؤيداً بالوحي من السماء، ظهرتْ بعض الصعوبات التي تغلب عليها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بمبدأ التسامح والصفح والتماس العذر، خاصة مع الصحابة، فها هو الصحابي حاطب بن أبي بلتعة ﷺ يكتب كتاباً إلى قريش يخبرها نبأ تحرك النبي **صلى الله عليه وسلم** إليهم، فأطلع الله رسوله **صلى الله عليه وسلم** بذلك عن طريق الوحي، فأرسل عدداً من الصحابة لأخذ هذه الرسالة[106]، فلحقوا بالمرأة على بعد اثناعشر ميلاً من المدينة، وأخذوها منها، ولما استدعى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حاطباً للتحقيق قال: "أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرتْ ولا بدلتْ ولكني كنت امرأً ليس له في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه[107]."

ومع مطالبة عمر بن الخطاب ﷺ بالسماح له بضرب عنق حاطب، باعتبار ما قام به تجسساً لصالح العدو، بل يمثل ما يسمى اليوم خيانة عظمى يعاقب عليها بالقتل[108]، فقد جاء ردّ النبي ﷺ مليء بالصفح والتسامح والعفو والمغفرة، بقوله: «أما أنه قد صدقكم، ما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد

---

103 ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، ص282.

104 ذي خشب: موضع على مرحلة من المدينة إلى الشام، يبعد عن المدينة 35 ميلا. (شراب: **المعالم الأثرية في السنة والسيرة**، ص108).

105 رضا، محمد رشيد: **محمد رسول الله**، ص180.

106 هم: علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد رضي الله عنهم. انظر: رزق الله: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ص559.

107 خَطَّاب، محمود: **الرسول القائد صلى الله عليه وسلم**، ص226.

108 السويكت: **العيون والجاسوسية في عصر النبوة**، ص208.

بدراً، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم«[109]، ثم عمل رسول الله ﷺ على مراعات العامل النفسي لحاطب حتى لا تلاحقه العيون والألسنة لفعلته بقوله لأصحابه: «ولا تقولوا له إلا خيرا[110].»

تمتْ مراقبة الطرق المؤدية إلى المدينة، وأصدرتْ الأوامر بِرَدْ كل من يُشَكُّ في أمره فيُتَحَفَّظ به ويُسْأل عنه[111]، ما أدى إلى استمرار السِرّيَة للجيش النبوي، فلم تسمع به قريش رغم توقعها ذلك وما حيرها إلاَّ أين وكيف سيتم الهجوم [112].

لم يقتصر تسامح النبي ﷺ مع من أخطأ من أصحابه أو من المسلمين فقط، بل تعداه إلى الصفح حتى عمن لم يسلم من المشركين ممن أظهر العداوة من قبل، ما دام جاء مُقِراً بذنبه معترفاً بخطئه، فعندما وصل النبي ﷺ إلى ثنية العقاب لقي اثنان من أعداء الدعوة هما: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية بن المغيرة، ومع فداحة جرمهما فقد عفا عنهما ﷺ وقبل عذرهما حتى وصل مَرّ الظهران[113] فأمر بإيقاد النيران حتى ترى قريش قوة المسلمين فتستسلم دون قتال .

كما تجلتْ سماحة النبي ﷺ وعفوه عندما قَدِمَ أبو سفيان رأس الشرك بحماية عم النبيﷺ العباس بن عبد المطلب وجواره، رغم محاولات عمر بن الخطابﷺ ضرب عنقه[114] إلا أن النبي ﷺ أمّنه وسلمه للعباس، ثم حاوره في اليوم الثاني حتى أسلم وشهد شهادة الحق[115]، ثم جعل له جُعْلاً يشبع فيه غروره، فقال ﷺ" :من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن"[116]، وفي هذا تثبيت لأبي سفيان على الإسلام وتقوية لإيمانه[117]، وعاملاً لامتصاص الحقد من قلبه، وتطميناً له بأن الإسلام لن ينتقص منه شيئاً إن هو أخلص له وبذل في سبيله[118].

---

109 القرطبي، محمد أحمد: **تفسير القرطبي**، ص18-20، ورد عند البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، حديث رقم (3081)، جـ4، ص76.

110 البخاري: **المصدر نفسه**، حديث رقم (6939)، جـ9، ص18.

111 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص398.

112 رزق الله: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ص560.

113 مر الظهران: وادي يقع شمال مكة على بعد 22 ك. م. (شراب: **المعالم الأثرية**، ص184).

114 المباركفوري: **الرحيق المختوم**، ص368.

115 المباركفوري، **المصدر نفسه**، ص368.

116 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص402.

117 البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم (4280).

118 زيدان، عبد الكريم: **المستفاد من قصص القرآن الكريم والدعاة**، جـ2، ص403.

نجح ﷺ في بثّ روح الهزيمة النفسية في أبو سفيان زعيم مكة، فاستعرض كامل جيش المسلمين أمامه المكَوَّن من عشرة آلاف رجل[119]، حتى قال أبو سفيان للعباس في نهاية الأمر: "لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً"، إلا أن العباس رد عليه بروح الإيمان: "إنها النبوة" فاستدرك أبو سفيان ذلك: فنعم إذا[120]."

-حفظ الحقوق ونشر العدل في مكة بعد الفتح:

مرتْ الكتائب الإسلامية أمام أبو سفيان في استعراض عسكري مهيب، خلع قلب أبو سفيان وجعله يُسَلِّم بقوة المسلمين، ليصل إلى قناعة أن قريش لا طاقة لها بمواجهة المسلمين، ولما مرّت كتيبة الأنصار من أمامه وكانت رايتها مع سعد بن عبادة فقال لأبو سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة، اليوم أَذّلَّ الله قريشاً"، فلما حاذى رسول الله ﷺ أبا سفيان قال: يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد؟ فقال ﷺ» :اليوم يوم تُعظم فيه الكعبة، اليوم أَعَزَّ الله قريشاً« ثم أرسل إلى سعد فنزع منه اللواء ودفعه إلى ابنه قيس، وبذلك لم يخرج اللواء عن سعد[121]، وفي نفس الوقت ضمن عدم الشطط واستحلال الحرمات، فكان بذلك حافظاً للحقوق وناشراً للعدل، وقد كانت أوامره ﷺ لكل قادته وقواته أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم[122].

دخلتْ قوات المسلمين مكة من جهاتها الأربع في وقت واحد، ولم تلق أي مواجهة إلا في جهة قوات خالد بن الوليد، فتجمع متطرفوا قريش في الخندمة[123]، فشتتهم خالد وتمتْ السيطرة على مكة[124].

بدخوله ﷺ مكة تجلى العدل بكل صوره، فقد عمل على حفظ الحقوق لِيُسَطِّر للإنسانية أزهى صور العدل، فأعلن ﷺ أن هذا اليوم يوم تعظيم البلد الحرام، بما يضمن المواطنة المتساوية للجميع، ومما قاله في خطبته: «أيها الناس إن الله حَرَّمَ مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حَرَام بحرمة الله إلى يوم القيامة،

---

119 قلعجي، محمد: **قراءة سياسية للسيرة النبوية**، ص245.

120 العلي، إبراهيم: **صحيح السيرة النبوية**، ص581-519.

121 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص404، ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ4، ص292.

122 ورد حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد ابن الوليد حول هذا في **سنن البيهقي الكبرى**، كتاب السير، باب فتح مكة، حديث رقم (18349)، جـ9، ص191-120.

123 منهم: صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم، انظر: ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص404.

124 فيض الله، محمد فوزي: **صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة**، ص397

فلا تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، وقد عادتْ حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فيبلغ الشاهد الغائب [125].»

ومن أزهى صور العدل وحفظ الحقوق ما قام به ﷺ تجاه قبيلة خزاعة التي خرج لنصرتها عندما قَتَلَتْ رجلاً من بني بكر بقتيل لهم في الجاهلية، فقال: «يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شاءوا فَدَمُ قاتله وإن شاءوا فعقله[126]»

وعمّ ذلك العدل على قريش كلها فقال: «لا يُقْتَلُ قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة«[127]، وفي ذلك إعلان لحفظ الحقوق والأمن والأمان والسلم والمساواة.

دخل رسول الله ﷺ الكعبة وصلى فيها، وسلم عثمان بن طلحة مفاتيح الكعبة وقال له: «هاك مفاتيحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء«[128]، ورفض رسول الله ﷺ تسليم المفاتيح لأناس من بني هاشم كانوا قد طلبوها[129]، بل حرص ﷺ على حفظ الحقوق ونشر العدل، حتى مع الذين غدروا ومكروا وتطاولوا[130]، بل أعلنها مدوية بقوله: «خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم[131].»

ومن صور حفظ الحقوق ونشر العدل في البيت الحرام يوم الفتح لمَّا اجتمع ثلاثة نفر في فناء الكعب غاظهم ارتقاء بلال بن رباح ﷺ فوق الكعبة لآذان صلاة الظهر، وما وصل إليه رسول الله من عز ونصر، فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً أن لم يكن سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا والله فلا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتهُ هذه الحصاة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: لقد علمتُ الذي قلتم، ثم ذكر لهم، فقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك [132].

---

125 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص416.

126 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص416.

127 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص412.

128 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص412.

129 العمري: **السيرة النبوية الصحيحة**، جـ3، ص482.

130 فيض الله: **صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة**، ص401.

131 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص412.

132 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص33.

بايع النبي ﷺ النساء، وعندما قال: "ولا يزنين" قالت احداهن: وهل تزنى الحرة؟ فعرف رسول الله ﷺ أنها هند بنت عتبة التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب في معركة أحد[133]، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة؟« قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك[134]."

ومن صور حفظ الحقوق ونشر العدل، العفو عمن كانوا قد أُهْدِر دمهم، لأن هناك من أجارهم من الصحابة، والنبي ﷺ يعز أصحابه ويحفظ حقوقهم وإجارتهم، لذا منح من أجاروا العفو والأمان، ومن ذلك إجارة عمير بن وهب لصفوان بن أمية وأخذه الأمان له من رسول الله ﷺ ، وقد أسلم صفوان بعد غزوة حنين [135].

ومن ذلك شفاعة أم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل لزوجها عند رسول اللهﷺ فأمنه، ولما عاد أسلم وحسن إسلامه [136]، ومن ذلك شفاعة عثمان بن عفان لعبد الله بن أبي السرح الذي كان قد أسلم ثم ارتد، ولما قدم به عثمان على رسول الله ﷺ أعرض عنه طويلاً، ثم أمنه [137]، ولما انصرف قال عليه الصلاة والسلام: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمت فيقتله؟ فقالوا: يا رسول الله هلا أومأتْ إلينا، فقال: "إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين«[138]، فأمنه ﷺ، وكذلك قبوله ﷺ شفاعة عبد الله بن سهيل لأبيه سهيل بن عمرو الذي أسلم بعد غزوة حنين[139].

4- القضاء على رواسب الشرك وعادات الجاهلية بعد الفتح:

دخل رسول الله رسول الله الكعبة وحولها ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الاسراء/ 81] ،﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سبأ/49]، والأصنام تتساقط على وجوهها[140]، ومنها اللات والعزى ومناة الثالثة،

---

133 البلاذري: **الأنساب**، جـ1، ص328.

134 البيهقي، أحمد بن الحسين: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، جـ5، ص94.

135 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، 418.

136 الواقدي: **كتاب المغازي**، جـ2، ص582-583.

137 انظر: أبو داود: **السنن**، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، حديث رقم (2683).

138 أبو داود: **المصدر نفسه**، نفس الحديث.

139 ابن هشام: **السيرة النبوية** ، جـ4، ص409.

140 النووي، الحسن: **السيرة النبوية**، ص337.

وغيرها[141]، وكان هذا الأمر أكبر ضربة للوثنية في شبه الجزيرة العربية، حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها[142]، فقد عُرِفَتْ أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده [143].

اجتمع أهل مكة قرب الكعبة ينتظرون حُكْم رسول الله ﷺ فيهم، فقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء"[144]، ثم أن رسول الله ﷺ أتبع هذا العفو العام بإبقاء الأموال والأراضي بيد أصحابها، ولم يفرض الخراج عليها، وبذلك لم تُعامل مكة مثل غيرها لحرمتها، وأدى ذلك إلى دخول أهلها في دين الله أفواجا دون إكراه، فأصبح أغلب أهلها من أنصار الرسول ﷺ بعد أن كانوا من أعدائه[145]، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله [146].

عمل رسول الله ﷺ على إقامة شرع الله وتنفيذ الحدود الشرعية في مكة، حيث قال: «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، لا تأخذكم في الله لومة لائم«[147]، ولذلك تم تحريم بيع الخمور، وأكل الميتة، ولحم الخنزير، وعبادة الأصنام[148]، وقطع يد السارق، يتضح ذلك من شفاعة قريش للمرأة المخزومية، حيث رَدَّ عليهم الرسول ﷺ بقوله لأسامة بن زيد الذي كلمه فيها: «أتشفع في حد من حدود الله؟« ثم قام فخطب في الناس وكان مما قال: «يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها [149].»

أدى كل ما سبق إلى تعزيز المساواة وتحقيق العدل وإزالة الظلم في مكة، واستتباب الأمن الداخلي، وارتفاع راية الحق على ما سواها، ليتحول الجميع للإسلام ويدينوا به.

---

141 ابن هشام، الكلبي: **الأصنام**، ص27.

142 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ1، ص83.

143 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص412.

144 البيهقي، أحمد بن الحسين: **شعب الإيمان**، حديث رقم (٥١٣٧).

145 السعدي، عبد الرحمن: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص936.

146 الترمذي، محمد بن عيسى: **السنن**، كتاب النذور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (1597)، ورد مع اختلاف يسير في **السنن الكبرى للبيهقي**، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، حديث رقم (18343)، جـ9، ص118.

147 العمري، أكرم ضياء: **السيرة النبوية الصحيحة**، جـ3، جـ2، ص482-483، أخرجه الألباني في **صحيح سنن ابن ماجه**، حديث رقم (2058)،جـ2، ص78، ورد في **سنن ابن ماجه** باب إقامة الحدود، حديث رقم (2540) ج3، ص576.

148 البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب الميتة والأصنام، حديث رقم (2236).

149 البخاري: **المصدر نفسه**، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد، حديث رقم (6788)، جـ8، ص 160.

ب–في الجزيرة العربية :

- مفهوم الأمة وفكر الانتماء للدولة الإسلامية بعد الفتح.

بعد انتهاء النبي ﷺ من فتح مكة وتطهيرها من الشرك وعبادة الأصنام وصلتْ أنباء ذلك إلى مسامع القبائل العربية، فمثّل ذلك ضربة قاصمة للوثنية في كل أنحاء الجزيرة العربية، حيث كانت القبائل العربية تنتظر ما سيسفر عنه الصراع بين مكة والمدينة بين الإسلام والشرك، بين رسول الله ﷺ وقريش، باعتبار أن الكعبة مقدسة لكل عرب الجزيرة، بل من أعظم مراكزها [150].

بعد فتح مكة بدأ ﷺ تطهير كل بلاد عرب الجزيرة العربية من الأصنام والشرك، وهو ما تم نهاية العام الثامن للهجرة، فما أن دخل العام التاسع الهجري حتى قدمتْ القبائل العربية على المدينة المنورة تعلن إسلامها من كل أنحاء الجزيرة العربية، تاركتاً للشرك ومعلنةً للتوحيد، إما طوعاً أو كرهاً، فسمي عام الوفود، فدخلوا في دين الله أفواجاً، ليسود العدل والأمان وحب الانتماء للدولة الإسلامية بعد الفتح، فأرسل رسول الله ﷺ عدداً من الصحابة للقضاء على ما بقي من أصنام الجاهلية لدى القبائل العربية المتناثرة في الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ومن ذلك إرسالهﷺ لعمرو بن العاص إلى قبيلة هذيل برهاط[151]، فهدم صنمها سواع، ما أدى إلى إسلام سادنها [152].

كما أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى قبائل كنانة لهدم صنمهم العزى، وكان سدنتها بنو شيبان، فهدمها[153]، وأرسل سعيد بن زيد الأشهلي إلى بلاد المشلل [154] لهدم صنم مناة، وكانت للأوس والخزرج وغسان فهدمها[155]، وأرسل المغيرة بن شعبة إلى الطائف لهدم صنمهم اللات وتحطيمها [156].

بذلك ساد مفهوم الأمة في أغلب بلاد الجزيرة العربية، ومن بقي من قبائلها على الشرك سيأتي ليعلن إسلامه عندما يجد نفسه محاطاً بالإسلام من كل الاتجاهات، راضياً أو كارهاً، ليسود الانتماء للدولة الإسلامية، ولينتهي الشرك وعبادة الأصنام حتى أن النبي ﷺ منع دخول المشركين إلى الحج العام العاشر

---

150 العمري: **المصدرر نفسه**، ج2، ص482-483.

151 رهاط: وادي شمال عسفان على بعد 35 ك. م عن مكة شمالاً، (شراب: **المعالم الأثرية**، ص130).

152 ابن سعد: **الطبقات**، ج2، ص148.

153 لواقدي: **المغازي**، ج3، ص873.

154 المشلل: بضم الميم وفتح الشين وتشديد اللام الأولى، وهي ثنية أسفل قديد من الشمال. (شراب: **المعالم الأثرية**، ص175).

155 ابن سعد: **المصدر نفسه**، ج2، ص146.

156 **ابن حجر: فتح الباري**، ج8، ص612.

الهجري، وبعث على بن أبي طالب ليلحق بأبي بكر الصديق أمير حج ذلك العام، وليخبره بما كلفه رسول اللهﷺ به، بأن يؤذّن في الناس يوم الحج بأن لا حج لمشرك[157]، فكان ذلك إعلاناً بسيادة التوحيد وبانتهاء الشرك، ليكون ذلك مقدمة لحركة الفتوح الإسلامية الكبرى في عهد الخلفاء الراشدين.

- **مفهوم الولاء والبراء وتحريم موالاة الكافرين نماذج بعد الفتح :**

الولاء والبراء لغة: الولاء من المحبة والصداقة والنصرة، فالولي القُرب والدُنو، والاسم منه: المحب والصديق والنصير[158]، وأما البراء فهو من مادة برأ، وترجع إلى معنى المفارقة والمباعدة، وأصل البراء التقصي مما يكره مجاورته [159].

الولاء والبراء اصطلاحاً: الولاء ميثاق محبة تعبدية راجع في الأصل إلى توحيد الله بالإخلاص له في كل شيء، وإلى محبة رسولهﷺ ومحبة المؤمنين، وأما البراء: فهو كره المسلم للكفر على سبيل التعبد وتبرؤه منه وتنزهه عنه [160].

وصلتْ الأخبار للنبي صلى الله عليه وسلم بتجمع المشركين في هوازن وثقيف، واستعداداتهم العسكرية لمواجهة المسلمين[161]، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدر الأسلمي فتحقق من الأمر، وحتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم في مرحلة الهجوم لا الدفاع خرج في إثناعشر ألفاً من مكة لمواجهة تجمع هوازن.[162]

رغم أن عدد المسلمين كان كبيراً، فلم يكن الولاء والبراء لله ورسوله لدى الجميع، وخاصة حديثي الإسلام من أهل مكة، والذين بلغ عددهم ألفان، ولعل دليل ذلك ما حصل عندما مَرَّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شجرة كانتْ تعظمها العرب في الجاهلية، تسمى ذات أنواط[163]، يعلقون بها أسلحتهم، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، فقال بعضاً ممن كانوا في جيش المسلمين يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى

---

157 ابن حبان: **السيرة النبوية**، ص359.

158 الأنصاري، فريد حسن: **مفهوم الولاء والبراء في الإسلام**، صفحات(211-228)، ص212.

159 الأنصاري: **المصدر نفسه**، ص212.

160 الأنصاري: **مفهوم الولاء والبراء في الإسلام** ، ص213.

161 ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ3، ص410.

162 ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ3، ص440.

163 أنواط شجرة عظيمة خضراء كان الناس في الجاهلية يأتونها كل سنة يتبركون بها لقضاء حوائجهم من دون الله.

ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [الأعراف/138]، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم [164].»

إن عدم وضوح معنى الولاء والبراء لدى البعض ممن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين جعلتهم يقولون: لن نغلب اليوم من قلة، إعجاباً بكثرتهم، وهم من نزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [التوبة/25]،

ولعل ما يشفع لهم كونهم حديثي عهد بالإسلام، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ليتذوقوا حلاوته ويحبوا الجهاد[165].

ومن الصور التي تبين عدم وضوح مفهوم الولاء والبراء لدى فئة حديثي الإسلام، عندما انكشف مقدمة جيش المسلمين في حنين قال بعض أهل مكة: "ألا بطل السحر اليوم" [166]، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على جميع أهل مكة، فهاهو صفوان بن أمية وكان يومها لا يزال على شركه يرد على من قال ذلك بقوله: "والله لئن يملكنا رجل من قريش أحب إلي من أن يملكنا رجل من هوازن[167]، وإن كان يفهم من كلامه التعصب لمكة دون سواها، وكان قد أمنه وقال له: «أنت بالخيار أربعة أشهر«[168]، وخرج مع المسلمين إلى حنين، وأجزل له رسول الله العطاء فأسلم [169].

كذلك من الصور الفردية التي توضح ضعف الولاء والبراء ما ظهر من بعض الأفراد من حديث للنفس وخلجات الفؤاد بخيانة الله ورسوله، ثم يحدثهم رسول اللهﷺ بما خطر لديهم من شر، وفي ذلك دلالة على صدق نبوة النبي ﷺ، فها هو شيبة ابن عثمان[170] يستغل ما حدث من هزيمة في حنين لجيش المسلمين في بداية المعركة ليحدث نفسه في اغتيال النبي ﷺ ثأراً لأبيه الذي قُتِلَ في أُحُد مشركاً، "فاقترب

---

[164] **سنن الترمذي**، كتاب القدر باب ما جاء لتركبن سنة من كن قبلكم، حديث رقم (218)، جـ4، ص 475، ،كما ورد في **جامع الترمذي** باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، حديث رقم (2352)، جـ4، ص49، وانظر: (ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص442).

[165] العمري: **السيرة النبوية الصحيحة**، جـ2، ص498.

[166] ابن حجر، الحافظ أحمد: **الإصابة في معرفة الصحابة**، جـ3، جـ3، ص54.

[167] ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ4، ص444.

[168] ابن حجر: **الإصابة في معرفة الصحابة**، جـ3، ص54.

[169] ابن هشام، **المصدر نفسه**، جـ4، ص418.

[170] اسمه: شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، انظر: ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص444.

النبي ﷺ منه وقال: «يا شيبة ادن مني«، قال شيبة: فدنوت منه، فوضع يده على صدري، وقال: "«اللهم اذهب عنه الشيطان« فرفعت إليه رأسي وهو أحب إلي من سمعي وبصري وقلبي [171].

كما حَدَّث أبو سفيان نفسه بعد فتح مكة في محاولة جمع الجموع ضد رسول الله ﷺ، فضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: «إذن يخزيك الله« فرفع راسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه، فقال: أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به[172] .

كما حَدَّث فضالة بن عمير بن الملوح الليثي[173] نفسه في قتل النبي ﷺ وهو يطوف في البيت الحرام بعد الفتح، فقال رسول الله ﷺ» أفضالة؟« قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ما ذا كنت تحدث به نفسك؟« قال: لا شيء كنت اذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه [174].

ولا شك أن هذه الصور تدلل على ضعف الولاء والبراء، وأن حديثي العهد بالإسلام لم تمتلئ قلوبهم به في هذه الفترة، ولكن ما لا شك فيه أيضاً أنهم قد حسن إسلامهم فيما بعد .

- **مفهوم التسامح الديني وعلاقته بالتعايش السلمي بعد الفتح:**

إن التسامح الديني يقتضي سهولة المعاملة مع الآخر في اعتدال ما بين التضييق والتساهل، بما لا يفضي إلى ضرر أو فساد [175]، أو هو التساكن والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر، دون أي انتقاص للإسلام أو المسلمين [176].

إن الأمن الاجتماعي يُوَصِّل إلى التعايش السلمي المبنى على الوُد والإخاء والمحبة، ولعل أصدق صورة في ذلك المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المجتمع النبوي في المدينة، ونلحظ ذلك في شعر النعمان بن عجلان الأنصاري الذي يشيد بما قَدَّمَهُ قومه للمهاجرين بقوله :

وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أيسار الجزور على الشطـــــر[177]

---

[171] الواقدي: **كتاب المغازي، جـ3، ص**910

[172] ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ4، ص304.

[173] هو فضالة بن عمير بن الملوح الليثي. (ابن سعد: **الطبقات**، جـ7، ص79).

[174] ابن هشام: **المصدر نفسه**، جـ4، ص417.

[175] عاشور، الطاهر محمد: **مقاصد الشريعة الاسلامية**، ص60- 61.

[176] غالب وآخرون، عبد الواسع محمد: **التسامح الإسلامي**، صفحات 13-72، ص8.

وفي كلماته يبدو بريق المؤاخاة ووحدة النسيج الوطني والاجتماعي بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمهم بخمسة أشهر وقيل ثمانية أشهر[178]، وفي ظل هذا المفهوم من الانسجام والتسامح ذابتْ الكيانات في مجتمع واحد يجمع عناصره الألفة والإخاء[179] ولاشك أن ذلك قد انتشر في كل مجتمعات القبائل العربية خارج المدينة التي دانت بالإسلام.

بقيام دستور أو وثيقة المدينة ألغتْ الروابط العنصرية والقبلية، ورسختْ روابط العلاقات الإنسانية في بيئة كانت تقدس الأحساب والأنساب والعصبية[180]، ولعل الحق ما شهدتْ به الأعداء، فعن تسامح النبي (ﷺ) بعد فتح مكة يقول واشنجتون ايرفنج: "كانت تصرفات النبي محمد (ﷺ) في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو"[181]، بل أن غوستاف لوبون يتحدث عن سماحة الرسول (ﷺ) مع أهل الديانات السماوية الأخرى في جزيرة العرب بقوله: "إن سماحة محمد (ﷺ) لليهود والنصارى كانت عظيمة، وإنه لم يقم بمثلها مُؤَسِّسُو الأديان التي ظهرتْ قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسار خلفاؤه على سنته."[182]

استطاع الرسول (ﷺ) تكوين نوع من التعايش في المجتمع الإسلامي بين المسلمين وغير المسلمين بغض النظر عن الاختلاف في الجنس أو اللون أو المعتقد [183].

- مفهوم الدفاع المشترك ودوره في الولاء السياسي للدولة الإسلامية بعد الفتح:

أرسل رسول الله (ﷺ) كتبه إلى ملوك الأرض في زمنه، يدعوهم إلى الإسلام، واختار لذلك من أصحابه من عُرف بحسن الأداء وقوة الإبلاغ ومعرفة لغة البلد المبتعث إليه، ولغة حاكمه [184].

بعد أن أتم رسول الله ﷺ فتح مكة، وأدّب هوازن وثقيف، تحرك لفتح خيبر، وباغت يهودها قبل أن يُعِدُّوا للحرب عدتها، ولم تكن قوات اليهود هينة، بل كانت كبيرة وصلت إلى أحدى عشر ألفاً من

---

177 مرجونة، إبراهيم محمد: **التسامح والإخاء الإنساني في وثيقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة دراسة تاريخية**، صفحات 378-343.ص348.

178 مرجونة: **المصدر نفسه**،ص348.

179 الفايز، وفاء صالح: **التسامح وأثره في ترسيخ الأمن الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم**، صفحات 185-235 ص206.

180 الفايز: **المصدر نفسه**، ص207

181 كهوس، محمد رشيد: **قيمة التسامح في السيرة النبوية دراسة مقاصدية**، صفحات (9-36)، ص22.

182 غوستاف، لوبون: **حضارة العرب**، ص128.

183 هند، عبد الله: **مظاهر التعايش الاجتماعي في الاسلام دراسة وصفية**، صفحات (428-461)، ص431.

184 القوصي:**أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية**، ص7

المقاتلين تحميهم حصونهم المنيعة، إضافةً إلى ما يقارب أربعة آلاف من المقاتلين الأعراب خارج المدينة، قد يتحركون خلف الجيش الإسلامي إذا ما علموا بتحركه لخيبر، فيضعوه بين فكي كماشة[185].

لذلك كانت خيبر خطراً محدقاً على المسلمين، خطراً على الدولة الإسلامية في الجانب الديني والأمني والاستراتيجي، فكان لزاماً إيجاد حلول سريعة لوضع حد لهذا الخطر المحدق.

حاول يهود خيبر الاستعانة بحلفائهم من عرب غطفان على أن يؤدوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين، لكن غطفان لم يقبلوا عرضهم خوفاً على أنفسهم من المسلمين، خاصة بعدما رأوا من قوة المسلمين في صلح الحديبية [186].

استكمل رسول الله ﷺ فتح حصون خيبر، وصالح أهلها ومن معها من فدك ووادي القرى وتيماء، وبذلك أَمِنَ رسول الله ﷺ من الأخطار الداخلية في الجزيرة العربية، مكوناً بذلك مفهوم الدفاع المشترك من جميع القوى سواءً كانت مسلمة تجاهد في سبيل الله، أو متحالفة مع المسلمين تشترك في قتال العدو المشترك بفعل المعاهدات المبرمة معها [187]، لأن أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم لا الحرب كقاعدة عامة، وأن اللجوء للحرب هو استثناء من هذه القاعدة إلا في حالة الدفاع عن النفس وعن الدعوة الإسلامية أو إغاثة أحد حلفاء المسلمين [188].

نلحظ ذلك في معركة تبوك سنة 9هـ/630م، حين خرج رسول الله ﷺ بثلاثين ألفاً من المسلمين، وعشرة آلاف من الخيل، وقد أمر كل بطن من بطون الأمصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لهم لواءً أو راية [189].

ظل رسول الله ﷺ في تبوك عشرين يوماً ينتظر المواجهة مع أقوى قوى الأرض في ذلك الزمان، قوة الروم، فلم يجرء هرقل وجنده على المواجهة وكانوا يومها في حمص [190].

أدرك أمراء القبائل القريبة من تبوك أن قوة المسلمين لا تقهر بعد الآن، فطلبوا الصلح معهم، مثل: صاحب إيلات وجرباء وأذرح ودومة الجندل، ودفع جميعهم الجزية ليعود رسول الله ﷺ منتصراً دون حرب[191]، لكن ذلك كان إيحاءً لمن سيأتي بعده من الخلفاء الراشدين بالقيام بحرب الروم وغزو بلادهم [192].

---

[185] القوصي: **المصدر نفسه**، ص7-8.

[186] القوصي: **المصدر نفسه**، ص90

[187] القوصي: **المصدر نفسه**، ص94.

[188] بزيز، محمد: **اللجوء إلى الحرب في الإسلام**، صفحات(69-77)، ص74

[189] القوصي: **أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية**، ص97

[190] القوصي: **المصدر نفسه**، ص 97.

[191] القوصي: **المصدر نفسه**، ص 98.

بعد فتح مكة وخضوع قريش والانتصار في غزوة تبوك، وعدم تجرء الروم على المواجهة، وخضوع القبائل الخاضعة للروم سابقاً، وإسلام هوازن وثقيف، وإذعان الطائف للإسلام، عرفتْ القبائل العربية أن لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ، وأدركتْ ضرورة الولاء للدولة الإسلامية قبل فوات الأوان، فتوجهتْ وفودها من كل الأنحاء في الجزيرة العربية صوب المدينة المنورة سنة9هـ/630م، تبايع رسول الله ﷺ وتعلن دخولها في الإسلام، حتى عُرف هذا العام بعام الوفود، لتنزل سورة النصر: "إذا جاء نصر الله والتفحّ"[سورة النصر/1]، ولما نزلتْ هذه الآيات خرّ رسول الله ساجداً وقال: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم [193]».

لم يحل العام العاشر من الهجرة حتى أصبحت جزيرة العرب دولة عربية إسلامية موحدة، وكانت بوادر هذه الوحدة قد ظهرتْ بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك، ووصول وفود القبائل العربية معلنةً إسلامها وانضوائها في الدولة الإسلامية، ولم يبق خارج نفوذ الدولة الإسلامية سوى مناذرة الحيرة والغساسنة في جلق والجابية، وعقد رسول الله ﷺ على إنفاذ حملة كبيرة إلى تخوم البلقاء، ولكن لم يقدر لهذه الحملة أن تحقق مهمتها لانتقال الرسول ﷺ إلى ربه، وجيش أسامة رابض على مقربة من المدينة [194].

الخاتمة :

لفتح مكة سنة 8هـ/628م دورٌ كبيرٌ في تعزيز العدل والمساواة والتعايش في مكة خاصة والجزيرة العربية عامة، فقد كان الولاء قبل الفتح لله ورسوله عند من أسلم، غير أن فئات أخرى في الجزيرة العربية ظل ولائها لغير الله ورسوله مثل: المشركون في مكة، واليهود في المدينة وما حولها، والأعراب في القبائل المتناثرة في الجزيرة العربية، والمنافقون داخل الصف المؤمن، وجميع هذه الفئات ظلت تنخر في جسم الدولة الإسلامية، حتى عقد صلح الحديبية سنة 6هـ/627م والذي كان فتحاً عظيماً للإسلام، ففتح المجال للرسولﷺ والمسلمين لنشر الدعوة وكسب الحلفاء وتحييد الأعداء، حتى نقضتْ قريش بنود الصلح بمساندتها لقبيلة بكر حلفائها ضد قبيلة خزاعة حلفاء الرسولﷺ، وكأن قريشاً أدركتْ حجم الخطر المحدق بها بعد فوات الأوان، فحاولت مدّ العقد وتمديد الاتفاق، إلا أن خيارات رسول الله ﷺ لها لم تخرج عن ثلاثة، (دفع ديات القتلى– التخلي عن بني بكر– الحرب)، وقد دفع عناد قريش وغطرستها لأخذ الاختيار

---

[192] القوصي: **المصدر نفسه**، ص100.

[193] **مسند أحمد**، حديث رقم (3739)، ج2، ص857.

[194] الجميلي، رشيد عبد الله: **ملامح سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الخارجية بعد صلح الحديبية**، مجلة كلية التربية – العراق، مجلد س3، العدد 6، 1981م، صفحات (57–68)، ص67، وقد أنفذ الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق هذه المهمة بإرساله جيش أسامة إلى الشام، فأوقع بقبائل من قضاعة كانت قد ارتدت عن الإسلام، كما أغار على قرية من قرى مؤتة، وغنم غنائم كبيرة وعاد إلى المدينة. (الجميلي: **المصدر نفسه**، ص67).

الثالث منها، وكأن قضاء الله وقدره اتجه بالأحداث لتحرير مكة، وهو ما حدث عندما دعا رسول الله ﷺ أن لا تصل أخباره وجيشه إليها، وقد كان الفتح سنة 8هـ/628م، فخضتْ قريش وأسلمتْ.

نتج عن فتح مكة أمور كثيرة عززتْ من توحيد الكلمة ورص الصفوف وراء رسول الله ﷺ الذي جَسَّدَ كل معاني الصفح والرحمة والتسامح بكل معانيه، فما أن دخل العام التاسع الهجري حتى أقبلتْ الوفود القبلية من كل أنحاء الجزيرة العربية تعلن إسلامها طوعاً أو كرها، رغبةً أو رهبة، فتم نشر الكثير من قيم العدل والمساواة وسبل التعايش سواء بين سكان مكة خاصة أو الجزيرة العربية عامة حتى انتشر الإسلام في كل أنحاء الجزيرة العربية في نهاية العصر النبوي.

جاء عنوان البحث: فتح مكة ودوره في نشر الإسلام في الجزيرة العربية في العصر النبوي، ليجسد كل المعاني السابقة، فتم صياغته في ثلاثة محاور الأول: مفهوم الإيجابية والتعايش السلمي في الإسلام، الثاني: تعدد الانتماء في مكة والجزيرة العربية قبل الفتح، الثالث: نشر الإسلام والتعايش السلمي في مكة عبر تقوية الجبهة الإسلامية على حساب جبهة الشرك، وتعزيز روح التسامح والعفو العام، وحفظ الحقوق ونشر العدل أثناء الفتح، والقضاء على رواسب الشرك والجاهلية بعد الفتح، أما في الجزيرة العربية فتم عبر: مفهوم الأمة وفكر الانتماء للدولة الإسلامية، ومفهوم الولاء والبراء وتحريم موالاة الكافرين، ومفهوم التسامح الديني وعلاقته بالتعايش السلمي، ومفهوم الدفاع المشترك ودوره في الولاء السياسي للدولة الإسلامية.

النتائج :

-هيئ الله الأسباب لفتح مكة، فعندما وجدتْ قريش ما لحق بها من أضرار اقتصادية نتيجة لانتصارات المسلمين المتلاحقة من سنة 2 حتى 5 هـ/623-626م، جنحتْ للصلح في صلح الحديبية سنة6هـ/627م، ومع أن الولاءات ظلت متعددة في الجزيرة العربية فلم تكن لله وحده، إلا أن شروط الصلح أتاحتْ للمسلمين تحييد الأعداء وكسب أنصار جدد، إما بإسلامهم أو عقد معاهدات معهم .

-قبيل فتح مكة ظلت ثلاثة قوى تشكل خطراً عظيماً على المسلمين هي: قريش واليهود والأعراب، فظلتْ قريش تشكل حاجزا دون دخول القبائل العربية للإسلام لقداستها الدينية، باعتبارها سيدة قبائل العرب، كما أن اليهودية الباقية في خيبر شكلتْ خطراً كبيراً للمسلمين لأن كل من تبقى من الرؤوس اليهودية المتآمرة استقرت هناك، كما أن القبائل البدوية استمرتْ في السلب والنهب الخاطف رغم تقليم رسول الله ﷺ لأظافرها وتأديبها بين الحينة والأخرى.

-بفتح مكة سنة 8هـ/629م استسلمتْ قريش وأسلمتْ، فزال الحاجز المانع لبقية قبائل العرب للدخول في الإسلام، التي ظلتْ لسنوات تنتظر ما يسفر عنه الصراع بين الحق والباطل بين مكة والمدينة بين رسول الله ﷺ وزعماء قريش، فدخلتْ كل قبائل العرب في دين الله رغبة أو رهبة في السنة التاسعة من الهجرة (عام الوفود)، ليصبح الولاء لله وحده دون سواه، وليطبق بشكل عملي في حج سنة عشرة من

الهجرة فَمُنِعَ المشركون من دخول الحرم، كما أُدِّبَتْ وأُخْضِعَتْ خيبر والقبائل البدوية التي تعودتْ على السلب والنهب.

-ما قام به رسول الله ﷺ بعد فتح مكة من تسامح وعفو ومغفرة لمن عاداه لسنوات طويلة، كان مبدأ عَلَّمَ به الإنسانية كيف يصفح المنتصر، وكيف يكون العفو عند المقدرة، وكيف تحفظ الحقوق، وكيف يسود العدل، وكل ذلك شُرِطَ بإزالة رواسب الجاهلية وعاداتها حتى يكون التوحيد خالصاً لله وحده دون منازع.

-انعكس سلوك الحبيب ﷺ في فتح مكة وبعدها على الجزيرة العربية كلها فتجسد تأصيل مفهوم الأمة المسلمة وفكر الانتماء فيمن دخل حديثاً في الإسلام طوعاً أو كرهاً، فكانت كلمة الله هي العليا، وكان رسول اللهﷺ هو القائد الأعلى للدولة في كل مجالاتها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فجُرِّمَتْ الكبائر وأُقِيمَتْ الحدود، ومُنِعَ ولاء غير المسلمين، ليصبح التعايش السلمي هو السائد في المجتمع، وليصبح الدفاع المشترك ميسوراً ضد أي أخطار تحدق على الدولة المسلمة في الأفق، لأن الولاء السياسي موحداً لله ورسوله دون سواهما.

قائمة المصادر والمراجع :

-إبراهيم، أيمن: الإسلام والسلطان والملك، (دمشق، دار الحصاد، الطبعة الأولى، 1998م) .

-ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد: مصنف ابن أبي شيبة، دار الرشد، الرياض، جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله للسنة النبوية المطهرة، الرئاسة العامة للبحوث العليمة والإفتاء، تطوير شركة حرف لتقنية المعلومات، 2016م.

-ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد: كتاب المغازي لابن أبي شيبة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم العمري، (الرياض، دار إشبيليا، ، الطبعة الأولى، 1999م).

-ابن اسحاق، محمد المدني، السيرة النبوية لابن اسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004).

-ابن الفقيه، أحمد بن اسحق الهمداني: كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1996م).

-ابن حزام، أبا زكريا شرف:تهذيب الأسماء، (بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1996) .

-ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، (الرياض، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله للسنة النبوية المطهرة، الرئاسة العامة للبحوث العليمة والإفتاء، تطوير شركة حرف لتقنية المعلومات، 2016).

-ابن ماحه: سنن ابن ماجه، جامع خادم الحرمين الشريفين للسنة النبوية المطهرة، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء،الرياض، 2016م، شركة حرف لتقنية الملعلومات.

-أبو حبيب، سعدي: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، (دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1982).

-أبو زهرة، محمد أحمد: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، (الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1981م.)

-أبو زهرة، محمد أحمد: تنظيم الإسلام للمجتمع، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1965م).

-أبو زهرة،محمد:خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم،(بيروت،المكتبة العصرية،1979/1399م، جـ2).

-الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ، 1996م).

-الأنصاري، فريد بن الحسن: مفهوم الولاء والبراء في الإسلام، الندوة العلمية "حكم الشرع في دعاوى الإرهاب"،(الدار البيضاء، المجلس الأعلى المغرب، مايو- جماد الأولى 2007م، صفحات(211-22).

-البخاري: صحيح البخاري،كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (الرياض، جامع خادم الحرمين الشريفيين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله للسنة النبوية المطهرة، الرئاسة العامة للبحوث العليمة والإفتاء، تطوير شركة حرف لتقنية المعلومات ، 2016)..

-التجاني، مبارك إبراهيم:وقفات مع فتح مكة من خلال السيرة النبوية، (مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، س11، ع16، 2008م، صفحات (62-85).

-التحافي، عبد القادر:يوم الفتح المبين: فتح مكة، (مجلة المورد، مج27، ع1، 1990م، صفحات(4-21).

-الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، (الرياض، جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله للسنة النبوية المطهرة، الرئاسة العامة للبحوث العليمة والإفتاء، تطوير شركة حرف لتقنية المعلومات ، 2016).

-التيجاني،عبد القادر حامد: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م).

-الثعالبي، عبد العزيز: الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، تحقيق: د. صالح الخرافي، (دمشق، دار ابن كثير، 1997م).

-الجميلي، رشيد عبد الله: ملامح سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الخارجية بعد صلح الحديبية، (مجلة كلية التربية – العراق، مجلد س3، العدد 6 ، 1981م، صفحات (57-68).

-الجيلاني وآخرون، ابن الحاج يحي: القاموس الجديد الألفبائي، (تونس، بيروت، دار الأطلسية، دار الأهلية، د.ت، د.ط) .

-الحموي، ياقوت:معجم البلدان، (بيروت، دار الفكر، د.ت).

-السعدي،عبد الرحمن:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (الرياض، دار المؤيد، الطبعة الثانية، 1426هـ).

-السويكت، سليمان عبد الله: العيون والجاسوسية في عصر النبوة، (مجلة البحوث الأمنية، مج10، العدد20، ذو الحجة 1422هـ، صفحات(170-22).

-السيد،رضوان: مفهوم الجماعات في الإسلام،(بيروت،دار المنتخب العربي،الطبعة الأولى، 1993).

-الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: تاريخ صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى،1987) .

-الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، (صنعاء، دار الفكر المعاصر،الطبعة الأولى، 1999م).

-الصالحي، محمد يوسف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تعليق: عادل أحمد عبد الموجود، (مكة، دار الباز،الطبعة الأولى، ج5، 1414هـ).

-العلي، ابراهيم: صحيح السيرة، مراجعة: همام سعيد، (الأردن، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1995م).

-العمري، أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، (الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1421هـ، ج3).

-الغزالي، محمد: فقه السيرة، (القاهرة، دار الشروق، 2000).

-الفايز، وفاء صالح: التسامح وأثره في ترسيخ الأمن الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم، السعودية، (مجلة تدبر، مج1، العدد 2 إبريل/رجب، 2017م، ، صفحات 185-235).

-القارئ، على سلطان:مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت،دار الكتب العلمية، ط2، 2007م، ج9).

—القرطبي، محمد أحمد: تفسير القرطبي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1965).

-القوصي، عطيه: أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، (بحث مقدم للمسابقة السنوية في السيرة النبوية، التي تنظمها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية).

-المباركفوري، صفي الدين: الرحيق المختوم، (دار إحياء التراث، طبعة 1976).

-المليجي، يعقوب: المدخل للثقافة الإسلامية، (الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، 1985م).

-الندوي، أبو الحسن: سيرة خاتم النبيين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1978).

-النووي، الحسن: السيرة النبوية، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت).

-بلقزيز، عبد الله: تكوين المجال السياسي الإسلامي، النبوة والسياسة، (مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م).

-حافظ، عبد السلام هاشم: سيرة نبي الهدى والرحمة، رابطة العالم الإسلامي، (مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1982م).

-حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت، دار النفائس، الطبعة الرابعة، 1983م).

-حميد، غسان عبد القادر: الأبعاد الاستراتيجية لفتح مكة (8هـ)، (مجلة كلية المأمون الجامعة، ع18، 2011، صفحات (27-41).

-خطاب، محمد شيت: الرسول القائد صلى الله عليه وسلم، (بغداد مكتبة الحياة،الطبعة الثانية، 1960م).

-خليل، عماد الدين: دراسة في السيرة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطعبة السادسة، 1982).

-ربيع، حامد: سلوك المالك في تدبير الممالك، (القاهرة، مطابع الشعب 1982).

-رزق الله، مهدي: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، (مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992).

-رضا، محمد رشيد: محمد رسول الله، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1975).

-زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن الكريم والدعاة، (بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ج2، 1997) .

-سلامة، عواطف أديب: قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، (الرياض، دار المريخ، الطبعة الأولى، 1414هـ).

-شراب، محمد محمد: المعالم الأثرية في السنة النبوية، (بيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1411هـ).

-شقرة، محمد إبراهيم: السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، (الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، 1998م).

-طعيمة، صابر عبد الرحمن: الإسلام وعالمنا المعاصر، دراسة في الدعوة والدعاة، (الرياض، مكتبة المعارف، 1981م).

-عاشور، الطاهر محمد: مقاصد الشريعة الاسلامية، (تونس،الشركة التونسية للتوزيع، د.ت).

-عبد الحميد، محسن: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، (كتاب الأمة، الطبعة الأولى، 1404هـ).

-عرجون، صادق إبراهيم: خالد بن الوليد، (الدار السعودية، الطبعة الثالثة، 1401هـ/1981م).

-غالب وآخرون، عبد الواسع محمد: التسامح الإسلامي، (مجلة الشريعة والقانون، جامعة أفريقيا العالمية، السودان، العدد 21، 2013م، صفحات 13-72).

-فيض الله، محمد فوزي: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، (دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، 1996م).

-قلعجي، محمد: قراءة سياسية للسيرة النبوية، (بغداد، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1996م).

-كامل، مصطفى: هذا هو منهج الإسلام في التربية، (القاهرة، نهضة مصر، 1992).

-كهوس، محمد رشيد: قيمة التسامح في السيرة النبوية دراسة مقاصدية، (مجلة قضايا مقاصدية، جمعية البحث في الفكر المقاصدي، المغرب، العدد 4، 2018م، صفحات (9-36).

-محفوظ، جمال الدين محمد: الفن الحربي الإسلامي في فتح مكة، (مجلة دارة الملك عبد العزيز، مج8، ع3، يناير 1983م، صفحات(21-37).

-مرجونة، إبراهيم محمد: التسامح والإخاء الإنساني في وثيقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة دراسة تاريخية، (مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد 39، جـ1، يناير 2005م، صفحات 343-378).

-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب: زاد المعاد، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

-ابن حبان، محمد التميمي: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية،الطبعة الأولى، 1987م).

-ابن حجر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى، ج3، 1328هـ).

-ابن حجر، الحافظ أحمد: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (مكتبة الكليات الأزهرية، 1978م، ج15).

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، (بيروت، دار القلم، الطبعة الخامسة، 1984م).

-ابن سعد، أبو عبد الله محمد: الطبقات الكبرى، (بيروت، دار بيروت، 1978م، ج1).

-ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، 1977م، ج2).

-ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، (بيروت، دار الريان، الطبعة الأولى، 1988م).

-ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة، (دار طيبة، الطبعة الثانية، 1999م).

-ابن ماجه: صحيح سنن ابن ماجه، (الرياض، مكتبة التربية، الطبعة الثالثة، 1498هـ، ج2).

-ابن هشام، الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكريا باشا، (القاهرة، دار الكتب المصرية،الطبعة الأولى، 1924م).

-ابن هشام، عبد الملك جمال الدين: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مكتبة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1995م) .

-أبي داود، سليمان الأزدي: سنن أبي داود، مراجعة وضبط: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج3).

-البلادي، عاتق بن غيث: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (مكة، دار مكة، ط1، ج10، 1982م) .

-البلاذري، أحمد بن يحي: الأنساب، (مصر دار المعارف، ج1، د.ت).

-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد العاطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ج5، 1985).

-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، (الرياض مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ، 2003).

-الترمذي،محمد بن عيسى: السنن، تعليق الألباني، (الرياض، مكتبة المعارف،الطبعة الثانية، 1429هـ).

-الزرقاني: محمد عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، (بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، 1973م، ج2) .

-الطحاوي، أحمد بن محمد: شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار وآخرون، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2009م).

-النووي، محي الدين يحي شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية،1392هـ).

-الواقدي، أبو عبد الله محمد السهمي: كتاب المغازي، (بيروت، عالم الكتب،ج2، 1984م).

-بزيز، محمد: اللجوء إلى الحرب في الإسلام، (مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، العدد16، ديسمبر 2013م، صفحات(69-77).

الندوات والمؤتمرات :

-هند، عبد الله أحمد: مظاهر التعايش الاجتماعي في الاسلام دراسة وصفية، (مجلة آداب الفراهيدي، العدد8، أيلول، 2011، صفحات (428-461).

الرسائل:

-الحسيني، سلمى سليمان: صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، (بحث ماجستير مقدم للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة،1405هـ).

-الطيب، هند بنت مصطفى:فتح مكة دراسة دعوية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، 1999م.

المواقع الكترونتية:

الموقع الكتروني لإمارة منطقة مكة المكرمة رابط https://www.makkah.gov.sa/page/turba : تاريخ الدخول 1440/10/18هـ.

المراجع الأجنبية:

- Elie Salem, The Elizabethan Image of Islam, stadia Islamic a, No. 22.1963

- Tht New Encuclopaedia Britannica, Micropaedia Ready Refernce, Founded ,1768

-جان وليم، لايبار: السلطة السياسية، ترجمة: إلياس حنا، (منشورات عويدات، 1983م).

-جوارفسكي،اليكس: الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، (الكويت عالم المعرفة، 1996م).

-غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،الطبعة الثالثة، 1956م).